● رسالة من والدة باتريك اورغويللو للرفاق في الجبهة الشعبية ●

هكذا ناضل باتريك وهكذا استشهد

● والدة الشهيد تروي القصة البطولية لباتريك

تلقت « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، رسالة من السيدة كاثلين ارغويللو ، والدة الشهيد باتريك ارغويللو الذي قتل على يد رجال الامن الاسرائيليين في طائرة «العال» الاسرائيلية، خلال محاولة الاستيلاء عليها في شهر ايلول الماضي ، وقد ذكرت السيدة ارغويللو بان اكثر من مئة نسخة من رسالتها هذه ، سترسلها الى عدة جهات من الولايات المتحدة ، والى بريطانيا ، المكسيك ، كواوميبا ، كوستاريكا ، السلفادور وسويسرا كمشاركة منها في الجهود القائمة لشرح حقائق القضية الفلسطينية في اوساط الرأي العام الغربي .

لقد بدأت السيدة ارغويللو رسالتها المؤرخة ليله الميلاد ، ١٩٧٠ ، والموجهة الى اعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، تقول: لاول مرة في حياتي سنكون مراسلاتي الميلادية في حينها ... انا اعرف انكم تتساءلون : ما الذي دفع باتريك الى القيام بما قام به ، وكيف عدت به ، وما هي الاحوال اليوم في نيكاراغوا.

وتضيف قائلة : « ان الانسان العادي، غير العربي وغير اليهودي او الصهيوني ، لا يعرف في الواقع ماهية القضية في الشرق الاوسط ، واعترف بانني انا ايضا لم اعرف قبل كل الذي حدث ، واعتز اليوم لكوني اتتبع الاحداث الجارية ، ولكن في مثل هذه الحال ، فان الذين نسمعهم ونسمع منهم ، هم الصهيونيون الذين لديهم شبكة دعائية قوية وضخمة في انحاء العالم ، ان الفلسطينيين العرب، واليهود الذين يتفهمون مأساتهم ويحاولون مساعدتهم، لا يسمح باسماع اصواتهم . ان الصهيونين قبضة قوية على واشنطن العاصمة ، وعلى الحكومة البريطانية، اللتين تحافظان على عرش الملك حسين . ان الناس تتساءل عن سبب عدم قدرة العرب على فهم ان اسرائيل قد جاءت لتبقى ، لينجهوا نحو حل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية الملحة. ان الذي يغيب بكل سهولة عن بال هؤلاء ، الذين هم خارج الصراع ، هو ان اسرائيل جاءت الى الوجود كدولة ، عن طريق طرد شعب باكمله... الفلسطينيين العرب .. ولترجع قليلا الى الوراء » ..

وتعود السيدة ارغويللو الى الوراء لتوجز لمحة تاريخية سريعة لتاريخ اغتصاب فلسطين ، ثم تكمل رسالتها قائلة : « ... واخذت فلسطين عن الخارطة السياسية ، ولكن شعبها لا يمكن ان يختفي ، وبقي في مخيمات اللاجئين، وبعضه اصبح من اللاجئين السياسيين في دول عربية اخرى ، ان حرية التعبير السياسي ، وحق الحكم الذاتي ، والحريات المدنية والشخصية، التي اكتسبها اليهود ، قد اغتصبت من الفلسطينيين العرب. لقد تركوا وراءهم بيوتهم، ارضهم وممتلكاتهم ، في اسرائيل ...

« انها لسخرية محزنة بان تعني حربة فرد فقدان آخر لحريته . ومنذ حرمان الفلسطينيين العرب ، فان النضال ضد دولة اسرائيل والصهيونية بقي مستمرا وسيستمر ، ليس بسبب الدعم الذي يعطى له من الدول العربية الاخرى ، او لان اسرائيل قد استولت على المزيد من الارض بواسطة حملات الغزو ، او بسبب وضع دولي غير مناسب ، ولكن لان شعبا كاملا قد حرم من دون حق ، من حرياته الاساسية ، ان ايماني بان العدالة لا تتجزأ ، وان ما هو عدل لليهود يجب ان يكون عدلا للفلسطينيين العرب ايضا .

« وعندما ذهب باتريك الى هناك ، شاهد حقيقة الوضع، كما هو مفروض من اي اختصاصي بعلم الاجتماع ان يفعل ، وقرر بان عليه ان يشارك ويساعد ، قال مرة ان على العالم ان يصدم ، ليعرف على الاقل بوجود الفلسطينيين العرب ، ولهذا خططت ونفذت عمليات خطف الطائرات في ٦ ايلول ، ولم تكن هناك لحظة تعرضت خلالها حياة الرهائن للخطر ، كما شهدوا بانفسهم بعد عودتهم ، لان الخطة كانت تاخذ بعين الاعتبار عدم الحاق الاذى باحد .

« لقد اختار باتريك اصعب مهمة ، مهمة طائرة « العال » . ولكنهم تغلبوا عليه فورا واطلق عليه النار حرس الطائرة الكثرون بعد ان تمكنوا منه : ان هذه المعلومات ذكرتها احدى الرهائن لابنتي روز . قالت : « ان اولئك الحراس اطلقوا النار على اخيك عمدا ، وتركوه ينزف حتى الموت ، بعد ان تمكنوا منه . لم ينقلوه الى سيارة الاسعاف الا بعد ان اخرجوا كل الركاب . » لذا ، فقد مات في سيارة الاسعاف قبل ان يصل الى المستشفى . وربما كان من المقدر لباتريك ان يموت ، على اي حال، ولكن الذي يثيرني هو مهزلة هيئة المحلفين في المحكمة في لندن ، وخوف الرهائن من الادلاء بشهادتهم ، هذا الخوف الذي خلقه امر وزارة الخارجية الاميركية لهم بالالتزام بالصمت.

« ... ان الاخبار التي كشفت ان باتريك جوزف ارغويللو هو مواطن اميركي، لم يكن مقررا لها ان تذاع . كانت ستتم عملية نقل بات الى عمان « كمربي مجهول الهوية » . ولكن تسرب الخبر من الاستخبارات في نيكاراغوا الى الصحيفة الرسمية ، وسرعة شاعت القصة ، رغم محاولات الولايات المتحدة طمس القصة.قدر الامكان بسبب جولة الرئيس نيكسون الاوروبية.. لقد نشرت القصة في ١٢ ايلول ، ولكن في ٢٧ ايلول كانت مجلة « تايم » ما تزال تتكلم عن « العربي المجهول الهوية » .!

« ان الممثلين المحليين لوزارة الخارجية لم يساعدوني البتة ، وواجبهم ، مهما كان هذا مؤلما ، ان يعملوا كممثلين لاهل اي مواطن اميركي يموت في بلد اخرى ، ويرتبوا امر نقله الى بلاده (العائلة تدفع بالطبع) . ان القائم بالاعمال في السفارة البريطانية كان سلبيا الى آخر درجة ، لقد صرخ في وجهي بان لا اذهب الى لندن ، ذلك اقصى ما استطيع تحمله ، فوجهت انذارا للسفارة الاميركية بانها اذا لم تعمل في خلال ٤٨ ساعة ، ساذهب بنفسي لاستعيد باتريك . ولكنهم ظلوا على غرورهم مفترضين بانني لن اكون قادرة على الحصول على المبلغ اللازم للرحلة . لهذا سافرت في ٢١ ايلول ولاقيت ابني روبرت في مكسيكو ، وتوجهنا معا الى جنيف ، لوضع المسألة مرة اخرى ، في يد الصليب الاحمر الدولي ...

« ... في ذلك الوقت انفجرت الحرب في عمان ، وتوفي الرئيس عبد الناصر ، ورغم كل محاولاتنا ، لم نستطع الاتصال بالفلسطينيين .

على اية حال ، علمت الجمهورية العربية المتحدة عن المصاعب التي نواجهها ، فاتصلت بالاشخاص المعنيين في الشرق الاوسط ، وفي الليلة التالية تحولنا من شحاذين نستجدي بعض المساعدة من بلدنا نحن الى « ملكة وامير » من عائلة البطل، بطلهم .. لقد ساعدونا بقدر حدود . وعندما فشل الصليب الاحمر بدوره ، بان لم يسلموني الالف دولار التي حولها اوسكار الي بواسطة الصليب الاحمر الدولي ، دفع العرب نفقات نقل بات الى بلاده ، وهم في الواقع الذين حركوا الاشياء في لندن . (فيما بعد تلقيت تفسير الصليب الاحمر ، وقالوا فيه بانهم لم يعرفوا من انا !)

« ووصلنا الى لندن يوم الاحد في ٤ تشرين الاول ، وفي يوم الخميس ارسلونا الى البيت الجنائزي لنلقي نظرة على جثة بات. ويوم الجمعة عقد المحقق جلسة الاستنطاق . ومن المؤسف ان الامور لم تجر على عكس ذلك ، لانه عندما لمسنا مهزلة جلسة الاستنطاق والتحقيق ، كنا انا وبوب ، طالبنا بفحص الجثة ، ولكن في يوم الجمعة ذاك ، كان بات في طريقه الى البيت ، اذ كان عليه ان ينقل الى امستردام على متن طائرة شحن. وغادرنا يوم السبت لنلحق ببباتريك في امستردام . ووصلنا الى مانفرا مساء الاحد في ١١ تشرين الاول ...

« ... ودفنا بات في اليوم التالي في بلدة تدعى موموتومبو ، حيث كان قد قال لبوب (شقيقه) بانه يود ان ترفد بقاياه عندما يموت. الناس هناك يحبونه لدرجة انهم رغم فقرهم ، جمعوا ما يلزم ، وبمساعدة عامل بناء محلي ، اعدوا لبات قبرا من الاسمنت ، بسيط ولكنه جميل . لقد تاثرت كثيرا من ذلك ، ولكنهم قالوا لي انه « لولا بات لما كان عندهم مدرسة في البلدة، لانه هو الذي جمع المواد اللازمة وساعدنا في بنائها ، انه الوحيد الذي اعجبنا كفاية ليعمل شيئا من اجلنا ، فالاخرين يستعملوننا فقط.»!

« وجاء كاهن يعزيني قائلا : « كوني هادئة المال . لقد مات بات وهو يقاتل في سبيل ذات المثل التي دعا اليها المسيح ، لقد توكـ معرفته جيدا في العام الماضي ، وكل مـ هو ان يحب الفقراء ويجاهد من اجل الـ الاجتماعية . نحن نعرف اليوم ان حربا مكان من العالم ستشركنا جميعا ، بان تلـ في منطقة واحدة يمكن ان تؤثر على الحيـ انحاء الكرة الارضية . ان الشباب اليوم خاص ، يتملكهم الشعور بالوحدة في الـ الانساني . العديدون يقدمون خدماتهم، وبهون حياتهم لمجتمع اوسع من مجتمع هم . »

« وانا اعتقد بان ابني بات قد مواهبه بصدق لمساعدة الفلسطينيين المضطهدين لمس المظالم الرهيبة التي الحقتها بهم بتواطؤ بريطانيا والولايات المتحدة . ان لا استطيع فهمه هو الانحطاط الاخلاقي لحكومتا الولايات المتحدة وبريطانيا ، بـ وتحريض الصهيونين ، ليعملوا الشيء الذي عملته المانيا باليهود وادانوها من وقد القوا شكوكا على استقامة وامانة الـ الاحمر ، وهذا بالنسبة لي ، شيء مـ انهم يتحدثون عن عمل بات بانه عنف جـ بالازدراء في الوقت الذي كانت الحياة التي فقدت هي حياته ، ولكنهم لا يشيرـ العنف الحقير في مجزرة (النظام الـ الوحشية لآلاف من النساء والاطفال في ـ ولا الى الجريمة الرهيبة في قطع ايدي الصغار حتى لا يقدروا ابدا على حمل بـ (او اي شيء آخر، بعد فقدان سبعة اصابـ

لم اعرف ابدا ما كان يفعل بات ، ولكن اعرف ، لكنت منحته الثنـاء والاطراء صادق مع نفسه وبالتالي لا يمكن ان يكون او مخادعا مع احد ، كما كان يقول ابي

وتختتم رسالتها بالقول بان عملها في يساعدها على تحمل الم خسارتها ، وتعلـ التطويل في رسالتها قائلة بان المسالة كانـ ما يبدو بحاجة الى التفسير ...

ثم تقول :

« ايها الاصدقاء في الجبهة الشعبية ! لقد اصبحت قضيتكم قضيتي ، وهذه هي جهد متواضع واسهام في شرح الموقف الذين يجهلون ما حدث ..

... ربما ، ذات يوم ، سيساعدني والقابل اولئك الذين عرفوا بات كي يعـ عن حياته عندكم ..

ليباركم الله وينصركم ..

☐ كاثلين اورغويلو